أثر الربابة فى فن عبده موسى(١٩٢٧-١٩٧٧م)

د. محمد غوانمه (الأردن)

نشأة الفنان عبده موسى:

ولد الفنان عبده موسى عام ١٩٢٧م، في مدينة إربد شمال الأردن، ونشأ فيها يتيماً محروماً من لذات الطفولة والشباب إلا من حب الناس، فتعلم العزف على آلة الربابة (الرباب) وتتلمذ على أيدي أبرع عازفيها في عصره، وتفتحت موهبته منذ نعومة أظفاره، فكان يجلس إلى جانب عازف الربابة في المناسبات المختلفة وبخاصة الأفراح، وعيونه ترقب حركات ذلك العازف وأصابعه في مداعبة الوتر الوحيد لآلة الربابة من من خلال قوس تقليدي بسيط، فما أن يشعر العازف بالتعب ويضع الربابة جانباً ليأخذ قسطاً من الراحة حتى يبادر عبده موسى إلى تناولها ومداعبة قوسها ووترها بكل دقة وفراسة، وما أن وصل عمره إلى عشر سنوات حتى استطاع إجادة العزف عليها بمهارة وإبداع، وبذلك لفت أنظار كل من حوله إلى موهبته الفطرية المتميزة.

التحق عبده موسى بدار إذاعة المملكة الأردنية الهاشمية عام ١٩٥٨م، حيث اصطحبه دولة المرحوم هزّاع المجالي إلى دار الإذاعة التي كانت حينها في مدينة رام الله، فكان عبده موسى مفاجأة الجميع بصوته وعزفه الجميلين وإحساسه المرهف، حيث قدم العديد من الأغاني والأهازيج الوطنية والشعبية والقصائد الغنائية البدوية بمصاحبة ربابته، فلاقى قبولا ونجاحاً متميزين لدى كل من استمع إليه.

يقول الفنان توفيق النمري "إن عبده موسى كان معروفاً وذائع الصيت في الأردن وخاصة في مدينة إربد قبل أن يدخل إلى الإذاعة كفنان محترف وإنه قد حضر له عدة حفلات أحياها عبده موسى على الربابة، وإن أول لقاء فني جمع بينهما كان في إذاعة رام الله في الخمسينات قبل أن تنتقل الإذاعة إلى عمان، حيث قَدِمَ عبده موسى إلى الإذاعة حاملاً ربابته وتوصيات من عدد من كبار المسؤولين الأردنيين يشهدون له بالخبرة والاحترافية، ويطلبون تعيينه في الإذاعة".

ويقول الفنان توفيق النمري كذلك "إن موهبة عبده موسى موهبة مميزة، فعزفه على الربابة متقن جداً وبخاصة إجادة عزف المقامات الموسيقية على هذه الآلة ذات المساحة الصوتية المحدودة، وعزف الألحان البدوية مثل الشروقي والحداء وغناؤها بمصاحبة الربابة، وكنا كفنانين معجبين جداً بعزف عبده موسى على الربابة وغنائه كذلك".

ويضيف الفنان النمري " كان صوت عبده موسى شجياً رنّاناً مطرباً، فإذا غنّى الغناء البدوي أعطاه حقه ولهجته البدوية الصحيحة، وإذا غنى اللون الريفي فكأنما عاش العمر في القرية"، وبواسطة عبده موسى تم إدخال آلة الربابة إلى الفرقة الموسيقية في الإذاعة كآلة انفرادية (صولو)، وصاحب هذه الفكرة هو الفنان

توفيق النمري نفسه في أُغنيته المشهورة "دخلك يا زيزفونة"، من خلال حوار موسيقي جميل بين آلتي الربابة والناي.

لقد دخل عبده موسى الإذاعة أمّيّاً، لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ولشدة اهتمام دولة المرحوم وصفي التل بموهبة عبده موسى الفنية فقد عين له معلماً خصوصياً على حساب الإذاعة، ليعلمه القراءة والكتابة، فانعكس ذلك على شخصية عبده موسى وفنه وخلقه الديني والاجتماعي، حيث كان بعد ذلك يحمل القرآن الكريم ويقرأ منه خلال تواجده في الإذاعة.

المراحل الفنية لحياة عبده موسى

المرحلة الأولى: العمل في الإذاعة.

تنقل عبده موسى في الريف والبادية الأردنية، فساعده ذلك على أن يعكس الحياة الأردنية وبخاصة البدوية منها بما فيها من عادات وتقاليد أصيلة من خلال عزفه وغنائه اللذين تعايش معهما منذ الصغر، ويذكر أبنه الفنان فتحي عبده موسى "أن والده قد مر بثلاث مراحل فنية أساسية في حياته، أولاها: التحاقه بدار الإذاعة الأردنية، ومشاركته في برنامج من أنجح البرامج حينها هو برنامج "مضافة أبو محمود"، حيث كان يثري هذا البرنامج اليومي بغناء أحد ألوان الغناء التراثي الأردني بمرافقة آلة الربابة، وحيث لم تكن محطات التلفزيون قد وصلت المنطقة فقد لاقت البرامج الإذاعية التي شارك فيها عبده موسى كل النجاح، ليس في الأردن فقط، بل تعدت شهرته من خلال تلك البرامج إلى كافة البلاد العربية المجاورة.

المرحلة الثانية: غناء الثنائيات.

أما المرحلة الفنية الثانية في حياة عبده موسى فكانت نابعة من توقه للتجديد والتطوير في فنه، فعزز ذلك بغنائه للثنائيات، حيث غنى كثيراً من الأغاني التراثية والشعبية المميزة بمصاحبة العديد من المطربات الأردنيات والعربيات، فقد كان عبده موسى محبوباً جداً من المطربات، ويفسر ابنه الفنان صبحي عبده موسى ذلك بأن اللون الغنائي لعبده موسى هو لون مميز ويدخل إلى القلب، وأن والده بطبيعته الاجتماعية كان صاحب شخصية محببة للنفس، وشهرته جعلت المطربات يتقربن إليه لاختصار طريق النجاح والشهرة عليهن وبخاصة بعد نجاح تجربته الثنائية بأغنية "يا طير يا للي طاير" مع هيام يونس، والتي أثارت الرغبة لدى العديد من المطربات للغناء مع عبده موسى في ثنائيات غنائية جديدة، فكان من أجمل ما غنى: ثنائياته مع هيام يونس التي تميز صوتها بِبُحّة موسيقية قريبة من صوت ربابته، فغنى معها مجموعة من الأغاني الجميلة منها: سافر يا حبيبي وارجع، جدلي يَمِّ الجدايل، يا طير ياللي طاير، لطلع ع راس الجبل، كذلك فقد غنى مجموعة كبيرة من الثنائيات مع كل من الفنانات: سلوى بصوتها القوي

الصداح، التي غنى معها أغنية "ألله ألله يا جملون"، بالإضافة إلى كل من غادة ومحمود، وسهام شماس، وسهام الصفدي اللواتي غنى معهن كثير من الثنائيات.

المرحلة الثالثة: العمل مع فرقة الفنون الشعبية الأردنية.

في المرحلة الثالثة توج عبده موسى حياته الفنية بالتحاقه بفرقة الفنون الشعبية الأردنية عام ١٩٦٧م، وكانت أولى حفلاته مع الفرقة في العاصمة البريطانية لندن وبالتحديد على مسرح (ألبِرت هول) الشهير، فكانت تلك المناسبة من أهم المناسبات في حياته، حيث اجتمع فيها مع المطرب المصري الكبير عبد الحليم حافظ الذي كان مشاركاً في ذلك الوقت بحفل فني على ذات المسرح: فأعجب عبد الحليم حافظ بعزف عبده موسى على آلة الربابة وبغنائه الجميل، وقال يومها مقدماً عبده موسى للجمهور: "أن عبده موسى موهبة فنية فريدة في العزف على الربابة وفي الغناء الشعبي". وانهالت بعد ذلك الدعوات على عبده موسى وفرقة الفنون الشعبية الأردنية، فسافر معها ليقدم أغانيه الجميلة في كل من: ألمانيا، رومانيا، تركيا، تونس، المغرب، عُمان، البحرين، الإمارات العربية المتحدة، العراق، سوريا، لبنان وغيرها، وتقديراً لعزفه وغنائه الأصيلين فقد حصل على أرفع الجوائز والشهادات التي كان من أهمها:

١. جائزة أحسن مطرب وعازف على آلة الربابة من مهرجان المنستير في تونس عام ١٩٧١م.
٢. درع رابطة الفنانين الأردنيين عام ١٩٨٩م.
٣. ميدالية الدولة التقديرية لعام ١٩٩٦م.
٤. درع مهرجان رام الله للفنون (ليالي الصيف). ١٩٩٩م، سلمته إدارة المهرجان لحفيده الفنان محمد صبحي عبده موسى، تخليداً لذكرى الفنان عبده موسى، ووفاء لعطائه خلال مهرجانات ليالي الصيف التي كانت تقام في مدينة رام الله قبل عام ١٩٦٧م.
٥. مجموعة أخرى من الجوائز والشهادات التقديرية من العديد من المهرجانات العربية والدولية.

يقول الفنان عيسى البله وهو ملحن بارع وعازف كمان محترف في فرقة الإذاعة الأردنية لسنوات طويلة "بأن الربابة من الآلات الوترية الحساسة، وأن العزف على هذا النوع من الآلات يحتاج إلى مهارة فنية عالية وقدرة تكنيكية احترافية في الأداء، وقد كانت هذه الميزات متوفرة تماماً لدى عبده موسى".

أما الملحن الفنان روحي شاهين وهو من أشهر الملحنين الأردنيين فيقول "إن عبده موسى كان فناناً موهوباً وموهبته فطرية، وكنت من أشد المعجبين بموهبته العزفية وصوته المميز، وكان يحرك إحساسي وعواطفي عندما يغني، وقد فاق في عزفه على آلة الربابة كثيراً من عازفي آلة الكمان في الإذاعة آنذاك، وكان صوته مكتمل المساحة الصوتية، فهون يستطيع أن يغني أكثر من سلمين موسيقيين، وربما تصل مساحة صوته إلى أكثر من عشرين نغمة موسيقية، إضافة إلى حسه الإيقاعي المرهف، أما بالنسبة إلى

خلقه: فقد كان دمثاً طيباً متواضعاً، وكل ذلك دفع جميع الملحنين إلى تقديم ألحانهم لعبده موسى بكل ثقة ودافعية وحب واحترام".

في حين يذكر الملحن الأردني وعازف القانون الفنان الدكتور إميل حداد بأن العازفين كان يضبطون دوزان آلاتهم على صوت عبده موسى المتميز بالدقة والتمام، فقد كان صوته لا يتغير بمرور الأيام، وأن لون الأداء لدى عبده موسى سواء منه ما كان عزفاً أو غناءً فإنه يحمل ملمحين أساسيين معاً هما: ملمح الريف وملمح البادية الأردنيين، دونما أي تكلف أو تصنع، إضافة إلى خلقة وتواضعه وسماحته وحسن معشره.

لقد استوعب عبده موسى ما عانته الأمة في حروبها مع المعتدين، وقد أدرك بحسه الفطري وذكائه المتوقد أهمية الأهزوجة الوطنية باعتبارها رسالة للوطن تحمل همومه وآماله، وتنبض بوجدانه ومشاعره، فأقتنص هذا الملمح الدفاق والمعين الفياض في الغناء، ووظفه لخدمة قضايا الأمة أجمل توظيف من خلال مجموعة غنية ثرية من الأهازيج الوطنية مثل: يوم الكر ويوم الفر، أبطال الحي، الثورة العربية، جيش الأردن، جيشنا المقدام وغيرها.

إن العطاء الموسيقي لعبده موسى _ سواء كان في الغناء أو العزف أو التلحين_ يؤكد بأن هناك عدة عوامل أساسية أثرت تأثيراً كبيراً في تكوين شخصيته الفنية، وربما كان من أبرز تلك العوامل: حياة الحرمان والفقر التي عاشها في بداية حياته. ثم تنقله في الريف والبادية منذ طفولته، وتأثره بالعادات والتقاليد الريفية والبدوية الأصيلة التي تعايش معها منذ الصغر، وبعدها إثراء هويته الفنية من خلال أدائه لأغانيه الرائعة بصوته القوي وحسه المرهف، وعزفه المميز على آلة الربابة.

الخصائص الفنية لشخصية عبده موسى:

لقد اتسمت الشخصية الفنية لعبده موسى بالعديد من الملامح الفنية الأصيلة التي اشتملت على مختلف السمات الإبداعية اللازمة لتكوين شخصيته التي مثّلت الشخصية الفنية الأردنية في يوم من الأيام بأصدق ما يكون التمثيل وأجمل ما يكون الانتماء، من خلال مجموعة من الخصائص الفنيّة التي اكتسبها عبده موسى من البيئة الأردنية المحيطة به، وقد ظهرت هذه السمات في إطار مجموعة من الخصائص الإيقاعية والنغمية نستعرضها على النحو الآتي:

أولاً: الخصائص الإيقاعية:

أ- استخدم عبده موسى في أغانيه مجموعة من الضروب الإيقاعية العربية الأصيلة التي تتناسب مع غنائه التراثي البسيط، مما أثرى تلك الأغاني بذلك الحس المفعم بالعفوية، وسهّل وصولها إلى

مختلف شرائح مستمعيها، على نبرات تلك الضروب الإيقاعية الجميلة التي نذكر منها إيقاعات: الملفوف، والهجع، والبمب، والسماعي الدارج، والدويك (المقسوم)، والمصمودي الصغير (البلدي)، والسنكين سماعي، وقد انتظمت هذه الإيقاعات من خلال عدد من الموازين الموسيقية منها: ٢/٤، ٣/٤، ٤/٤، ٦/٨ وغيرها.

ب- أن ثمة خاصية إيقاعية هامة ومميَّزة في غناء عبده موسى ألا وهي غناؤه الحر غير الموزون لكثير من القصائد والأغاني الشعبية وبخاصة البدويّة منها، حيث كان يؤديها بمصاحبة معشوقته الربابة، على وزن غناء الشروقي الارتجالي الحر، مما يعطيه حريّة المد والتسكين حيثما يشاء، مع التأكيد على حِرفيته الأدائيّة العالية لهذا اللون من الغناء.

ج- كذلك فإن هناك خاصية إيقاعية أخرى في أغاني عبده موسى ألا وهي مزجه للغناء الحر والغناء الموزون في ذات الأغنية، فمثلاُ نجده يمهد للأغنية بموّال حر ثم يأتي غناء الأغنية على أحد الأوزان الإيقاعية، ويتبين لنا ذلك في الأغاني التالية: بياع الورد، تحية الأسد، شجر النخيل، مرّين وما معهن حدا، يا حسين يا محقق أمانينا.

ثانياً: الخصائص اللحنيّة:

أ- تميزت أغاني عبده موسى بخصائص لحنية متعددة اعتمدت جميعها على المقامات الموسيقية العربية الأساسية الأصيلة، مع تمركز معظمها حول جنس الأصل في تلك المقامات التي كان من أهمها مقامات: البياتي، والسيكا، والهزام، والراست، والصبا، والنهاوند، مع استخدام التحويلات المقاميّه في بعض الأغاني.

ب- انتظمت معظم ألحان أغاني عبده موسى بصيغ بنائية ذات نسق شعبي، أي أن لحن الأغنية في معظم الحالات لا يتجاوز جملة موسيقية واحدة تُغنى على لحنها مجموعة من المقاطع الشعرية المتتالية.

ج- انتظم عدد قليل من أغاني عبده موسى بلحن من جملتين موسيقيتين وعدد أقل من ألحان أغانيه جاء بأكثر من جملتين لحنيتين.

د- بالإضافة إلى الألحان الموزونة في أغاني عبده موسى فإن هناك أغان غير قليلة جاءت بألحان حرة غير موزونة، وبخاصة تلك التي اعتمد فيها على الألحان الشعبية البدوية وتحديداً قالب الشروقي الحر.

هـ- معظم الأغاني التي وردت ألحانها باسم عبده موسى هي في الأصل ألحان تراثيّة جلّها من الألحان البدويّة، وكثيراً ما كانت ترد عدة أغان على ذات اللحن، كما هو الحال في الأغاني التالية: محلا الخضرة والأشجار، حط القهوة على النار، جلّ جلالك، شجر النخيل، نور العلم، احمدوا الرب يا

إخوان، يوم الكر ويوم الفر. وكذلك مجموعة أخرى من الأغاني وردت جميعها على اللحن نفسه وهي: جعفر الطيّار، الزكاة، يثرب الغرّاء القوافل قافلات، اليتامى، أبتدي بالحمد، النفير. بالإضافة إلى مجموعة أخرى وردت جميعها على ذات اللحن وهي: أم الكبائر، يا حسين، أردن يا ديرتي، غنيت للمجد، يا زارعين الورد، شرفت يا حسين. وكذلك الحال في الأغنيتين: دنّ الربابه يابو مفضّي، والبارحة يوم طيفك جاني، اللتين جاءتا على نموذج لحني واحد من ألحان غناء الهجيني، وثلاث أغان أخرى جاءت بنفس اللحن هي: يا زارعين الورد، يا حسين، مبروك عيدك. مع ملاحظة أن معظم الألحان المتكررة هي كانت على الدرجة الصوتية ذاتها وقليل منها كانت تختلف في درجة ركوزها، أي أن اللحن كان يُصوَّر على طبقة صوتية أخرى.

و- بعض ألحان الأغاني التي غناها عبده موسى كانت تبدأ بمقدمة موسيقية، وبخاصة تلك الألحان ذات الجمل اللحنية المتعددة التي صاغها له ملحنون متخصصون، ومثال على ذلك أغاني: على الأحباب يا مسافر، أبطال الحمى، يا رجالنا، غزلان العين، سلم عليهم وغيرها، مع ملاحظة أن معظم أغانية الأخرى كان يمهد لغنائها غالباً بتقاسيم على آلة الربابة.

ز- استخدام اللحن الحر ثم الموزون في كثير من أغانيه، حيث كان عبده موسى يبدأ الأغنية بموّال حر على لحن الشروقي غالباً، ثم يبدأ الغناء الموزون بعد انتهاء الموال مباشرة.

ثالثاً: الخصائص الشعرية:

تميزت أشعار أغاني عبده موسى بميزات شعرية وفنية مختلفة يمكن أن نجملها بما يلي:

أ- استخدام قافية شعرية واحدة في عجز كل بيت لمعظم الأغاني وكذلك استخدم قافيتين شعريتين في عدد من الأغاني أي قافية لصدر البيت الشعري وقافية أخرى لعجز ذلك البيت كما في أغاني: أردن يا ديرتي، أم الكبائر، دنّ الربابة، سلامة. وقد اتضح لدينا نوع ثالث من القوافي في أغاني عبده موسى وهو استخدام قافية شعرية غنائية لكل مقطع من مقاطع الأغنية، كما في أغاني: إيدي وإيدك، تحية الأسد، جلّ جلالك، ردي شاليشك.

ب- وجود علاقة كبيرة بين اسم كل من أغاني عبده موسى ومطلع تلك الأغنية، حتى أنه يتطابق اسم كل أغنية مع مطلعها بنسبة واضحة من أغانيه، كما أن هذه النسبة تزداد حينما يكون اسم الأغنية جزءاً من المطلع، وكذلك فإن لعبده موسى مجموعة أخرى من الأغاني لا علاقة لأسمائها بمطالعها.

ج- أهم الموضوعات التي طرقتها أغاني عبده موسى تراوحت ما بين المواضيع: الوطنية، والدينية، والغزلية، والزراعية، والتربوية.

د- اللغة من أهم الجوانب الأدائية والتطبيقية في حياة الفنان، وقد استخدم عبده موسى اللغة العربية الغنائية بشكل كبير في شكليها الأساسيين: اللغة الفصحى، واللهجة العامية وقد سيطرت الأخيرة على أدائه.

هـ- من الملفت للنظر والسمع معاً عند تحليل الأغاني التي شدا بها عبده موسى أن نجد استخدامه المتكرر لحرف النداء (يا) في كثير من أغانيه، وبخاصة في مطالع تلك الأغاني مثل: يا عنيد يا بابا، يا طير ياللي طاير، يا زريف الطول، يا هلا بالحسين، يا عبده جيب الربا، يا مدقدق بن عمي، هي يامّ الشامة، يا زينة يا بنت الخال، يا زارعين الورد، يا مرحبا ويا هلا، يا زاير الأوطان. إن البدء بحرف النداء (يا) متبع بكثرة في تراث البادية الأردنية والعربية وبخاصة في غناء الهجيني والشروقي والحداء، وحتى في أغاني الرقصة البدوية المعروفة بالسامر التي تبدأ عادة بـ (يا هلا بك)، وجميعها من قوالب الغناء التراثي العربي الأصيل، وقد تعلمها عبده موسى جميعاً وغناها واتقنها أيما اتقان، ولا شك أن لذلك انعكاس واضح على الشخصية الفنية لعبده موسى لذلك نجده قد استخدمها بكثرة في أغانيه.

ويذكر الفنان توفيق النمري في هذا المضمار: أن حرف النداء (يا) وعبارة (يا حبيبي) كذلك يستخدمها جميع المحبين، وهي كذلك عبارة محفورة في وجدان العاشقين، ويشبهها الفنان النمري بهديل الحمام وزقزقة العصافير حينما يوالف بعضها بعضا، وعليه فليس بغريب على فنان مبدع حساس مثل عبده موسى أن يبدأ أغانيه بحرف النداء الجميل (يا).

رابعاً: الخصائص الأدائية:

تميز أداء عبده موسى بمجموعة من الخصائص الفنية نذكر منها:

أ- القدرة العالية على أداء مختلف ألوان الغناء الشعبين الأردني، سواء منها ما كان بدوياً أم ريفياً، مع إتقانه لكثير من اللهجات الغنائية الشعبية العربية كذلك.

ب- وضوح مخارج الحروف الهجائية والغنائية لديه، وإتقانه لأساليب التعبير الخاصة بالغناء الشعبي، لا سيما إعطاء كل كلمة أو جملة غنائية ما يناسبها من اللحن والتعبير الموسيقي اللازمين.

ج- استخدامه لآلة الربابة وعزفها بنفسه لمرافقة غنائية في معظم أغانيه.

د- التنويع في أشكال الأداء الغنائي، حيث غنى كثيراً من أغانيه بشكل منفرد، وغنى بعض أغانيه على شكل حواريات ثنائية مع عدد من المطربات المتميزات أمثال: هيام يونس، غادة محمود، سهام الصفدي، عايدة شاهين، سماهر، وغيرهن.

هـ- توظيف غناء الكورال (الردّيده) في كثير من أغانيه وبخاصة الوطنية والغزلية منها.

و- بالإضافة إلى أدائه المنفرد والثنائي في الجانب الغنائي من الأداء فقد غنى عبده موسى بمرافقة فرقة موسيقية وآلة الربابة أحيانا، وبدون آلة الربابة أحياناً أخرى، وبمصاحبة آلة الربابة والإيقاع في بعض الأغاني.

ز- تميز غناء عبده موسى بمدّات صوتية طويلة في بعض الأغاني وبخاصة نهايات المقاطع الشعرية الغنائية المتناسبة مع حروف المد، وانفعاله التام واندماجه الحسي مع مضمون الأغنية وبخاصة غناء الشروقي الذي أكثر منه في أغانيه.

ح- يبدو جلياً تأثّر عبده موسى بالفنون العزفية والغنائية العربية مثل غناء البادية، وغناء ما بين النهرين، وغناء الجزيرة العربية، ويبدو كذلك تمكنه من الغناء الحماسي الوطني، والغناء العربي الفرح إضافة إلى إتقانه لأسلوب الغناء الحزين.

ط- لم يقتصر أداء عبده موسى على الغناء فقط بل أن له تسجيلات موسيقية عزفية شعبية عالية المستوى، حتى أنه يخيل للسامع بأن الربابة بين يديه تحولت إلى آلة كمان رقيقة.

ونورد فيما يلي نموذجين من أشهر الأغاني التي غناها عبده موسى وهما: قصيدة الثأر التي اشتهرت باسم (يا مرحبا يا هلا) وغناها منفرداً على آلة الربابة بلحن حر في الشكل الغنائي لقالب الشروقي المعروف في البادية الأردنية، وأغنية جدلي يم الجدايل التي غناها ثنائياً مع المطربة اللبنانية المشهورة هيام يونس:

الثّأر (يا مَرْحَبَا يا هَلا)

الشعر: رشيد زيد الكيلاني
اللحن: تراث أردني
الغناء: عبده موسى

يـا مَرْحَبَـا يـا هَلا مْنينِ الرَّكِـبْ مِنْ وينْ — أقّبَـلْ علينـا الضَّـــحَى يـا زِينَـةِ أقّبَـالَـهْ

حِنَّا ذّعَارَ الـــــعِدَا طَلاَّبِةَ لَلـــــــــدّينْ — وَالجورْ مَـا يِقْبَلَـهْ إلاَّ الرَّدِي خَـالَـهْ

خوضَ المَعَارِكْ لِنَـا مِنْ يومْنَـا صَـــلْفِينْ — وَالهَـاشْـــمِي ظِلَّنَـا وَالرُّوحْ فِـدْوَا لَـهْ

وَالثّـــــــارْ كَارٍ لِنَا يا ثَارْنَا بْثَّـــــارِينْ — يـــــــــــا غَاصْباً حَقَّنَا لا بُدْ ما نْنَالَهْ

نِزْحَفْ عَلَى الْلِي بَغَى وْخَانَ العَهِدْ وَالدِّينْ — وِنْـدُوسْ عَ الْلِي طَغَى وْنِجْزِيـهْ بِـافْعَالَـهْ

حَيْهُمْ نِشَـامَى الوَطَنْ حَيْهُمْ جُنُودَ حْسـينْ — رَبْعَ الكَفَـافِي الحُمُرْ وِالعُقُـلْ مَيَّـالَـهْ

يـا مْقَنَّعَـهْ بِـالنَّيَـا كُفِّي دُمُوعَ العينْ كُفِّي دُمُوعَ الأَسَـى عَ الخَـدْ سَـيَّالَـهْ
جُوكِ النَّشَـامَى لَفُو وِتْبَشَّـرِي يـازينْ عِقْبَـانْ فُوقَ الهِجِنْ وِأْسُـودْ خَيَّـالَـهْ
شَـدُّوا البَنَادِقْ زُرُقْ رَشَّـاشَـهَا صَـفّينْ وِمْـدَرَّعَـاتٍ شُـهُـبْ نِـيرَانْ قَتَّـالَـهْ
مَـدَافِعِ مْوَلَّفَـهْ تِرْمِي عَلَى الجَـالينْ صَـلْيَ القَنَـابِلْ رَعِدْ وِبْرُوقْ شَـعَّالَـهْ
وِنْسُـوْر جُوَّا السَّـمَـا مِتْلَفِّعَـهْ بَـالغينْ تِخْوِي عَلَى المِعْتَـدِي لَلْموتْ شَـيَّالَـهْ
تِخْوِي عَلَى المِعْتَـدِي مِخْلابْهَـا بْحَـدِّينْ ما ذَاقْ طَعْمِ السَّـلامَهْ مِنْ نِصَـتْ جَالَهْ
أَسْـوَدْ صَـبَاحِ العِدَا يومٍ عَليهُمْ شِـينْ وِغْبَارْ يِعْمِي ضَـعِيفَ القَلْبْ عَنْ حَـالَهْ
مِنْ كُلْ دَبَّابِةٍ أَمَّـاتْ جَنْـزِيرينْ تُهْـدُرْ هَدِيرَ الْبَحُرْ عَ القومْ صَيَّالَهْ
وِفْهُودْ بينَ الحُفَرْ تُهْجُمْ عَلَى الرِّجْلينْ قَنَّـاصِةٍ لَلْعِدَا وِنْمُـورْ جَوَّالَهْ
حَيْهُمْ نِشَـامَى الوَطَنْ حَيْهُمْ جُنُودَ حْسِينْ رَبْـعَ الكَفَافِي الحُمُرْ وَالعُقُلْ مَيَّالَهْ
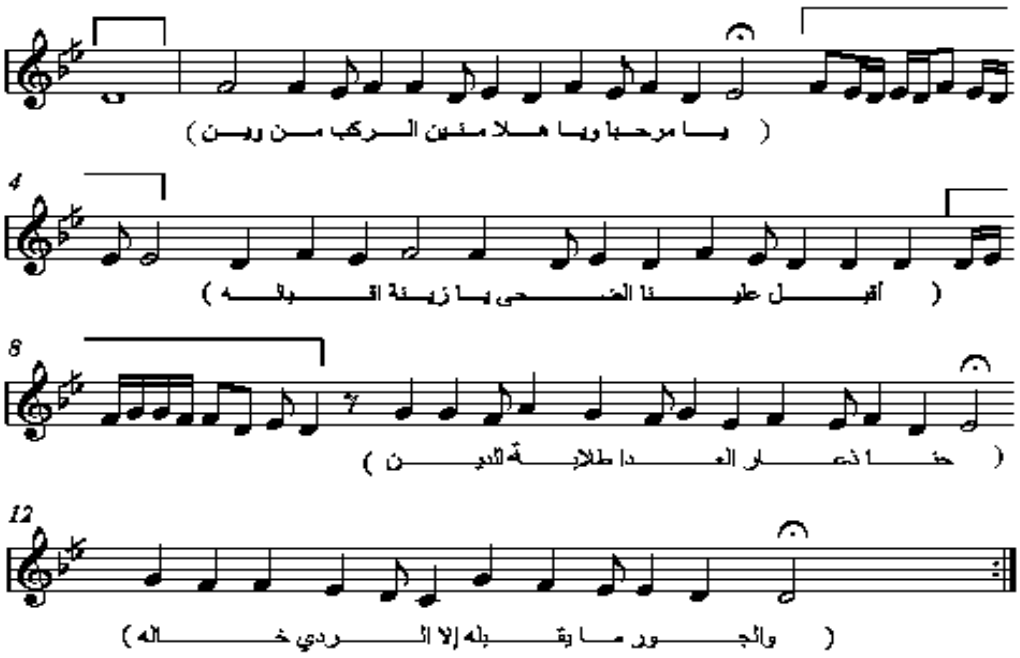
مدونة موسيقية رقم (١)

قصيدة الثَّأر (يا مَرْحَبَا يا هَلا)

جَدِّلِي يَمِّ الجَدَايِلْ

الشعر: عبد الرحيم عمر
اللحن: جميل العاص
الغناء: عبده موسى+ هيام يونس
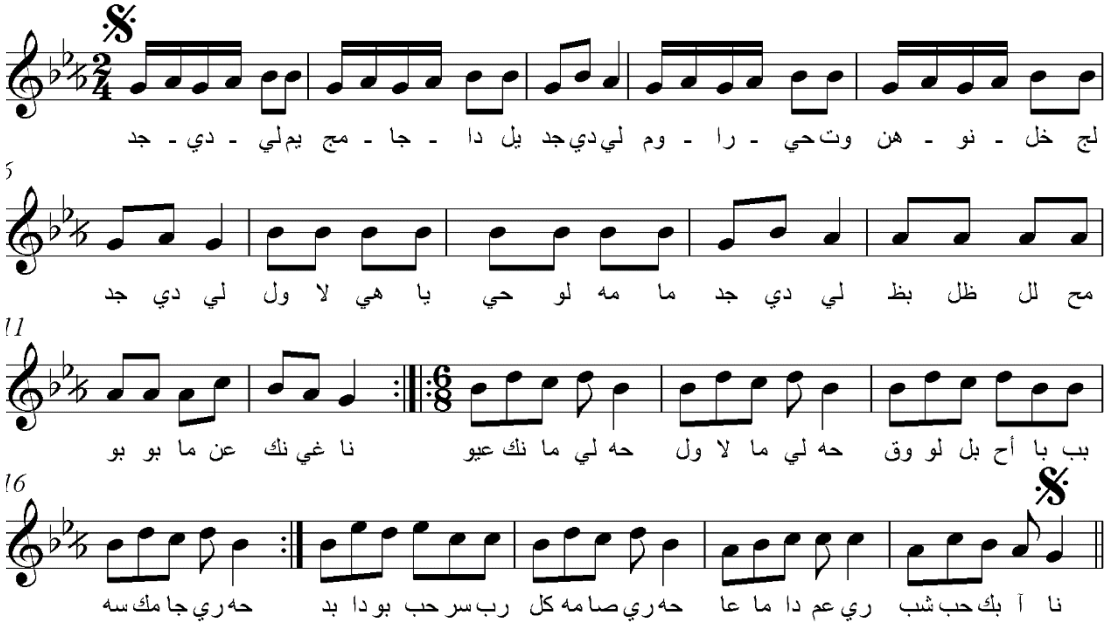
هيام يونس:

جَـدِّلِـي يَـمِّ الـجَـدَايِـلْ جَـدِّلِـي وِامْـرَحِـي وِاتْـهَـنِّـي وْخَـلِّـي الـجَـدِّ لِـي
وَاللهِ يـا حِـلُـوْ مَـهْـمَـا جَـدِّ لِـي بِـتْـظَـلِّ الـمَـحْـبُـوبُ وْمَـا عَـنَّـكْ غِـنَـا

عبده موسى:

عْـيُـونِـكْ مَـلِـيـحَـهْ وَاللهْ مَـلِـيـحَـهْ وِقْـلُـوبِ الأحْـبَـابِ بْسَـهْـمِـكْ جَـرِيـحَـهْ
بِـدِّي آبُوحِ بْسِـرِّ بْكِلْمِـهْ صَـرِيـحَـهْ عَ مَـدَى عُـمْـرِي شْـو بْـحِـبَّـكْ أنَـا

هيام يونس:

جَـنْـبِ الـبَـيَّـارَهْ لْـقِـيـتَـهْ مْـغَـرِّبَـا سَـلَّـمِـتْ عَـلِـيـهْ كَـأَنَّـهْ مَـا انْـتَـبَـهْ

لَـو خَـيَّـرُونِـي عَـنْ عُـمْـرِي لَـوْهِـبَـهْ وَلأَجْـلَـكْ يـا زيـنْ وْيِشْـــهَـدْ رَبِّـنَـا

عبده موسى:

يَـمِّ الـبُـرْتُـقَـالْ يِـمْشِـــي كَـالـغَـزَالْ مِنْ يُومْ شُـــفْتَـهْ حَـالِي صَـــبَحْ حَـالْ

مَـدْرِي حِـلِـمْ عـيـنْ هُـو وَلاَّ خَـيَـالْ إِخْـتَـفَـى وْمَـا عَـادِ يْـبَـيِّـنْ دَرْبِـنَـا

الخلاصة

من خلال تحليل موسيقي علمي لكافة أعمال الفنان عبده موسى الموسيقية الغنائية، فقد خلصنا إلى مجموعة من الخصائص الفنية لأسلوبه الفني، حيث تميز الفنان عبده موسى بالعديد من الميزات الفنية التي كان لها أقوى الأثر في إنجازاته التي حققها على مدى مسيرته الفنية، وتزداد هذه الميزات أهمية إذا علمنا أن عبده موسى لم يتعلم فنه في أي من المعاهد أو الكليات الموسيقية، لا بل أنه لم يلتحق حتى بالمدرسة، فكان فناناً فطرياً عفوياً تعلم في مدرسة الحياة وأبدع فناً نقياً تميز من خلاله بما يلي:

١. إتقانه للعزف على آلة الربابة، والذي تمثل في القدرة على التحكم بالقوس بصورة قل نظيرها، وقدرته على أداء التقاسيم على هذه الآلة ذات المساحة الصوتية المحدودة، وأداء القوالب الموسيقية التراثية وخاصة البدوية بكل مهارة وإتقان، والعزف بمصاحبة الآلات الموسيقية الأخرى كالناي، والعود، والمزمار، والآلات الإيقاعية وغيرها، والقدرة على التعبير العزفي بإحساس مرهف، وبتكنيك أدائي ذي مستوى عال من الإتقان، وهذا لم يسبقه إليه أحد من الفنانين.
٢. إجادته للغناء بمصاحبة آلة الربابة، بصوت غنائي رنان ومفتوح، وإتقانه لعملية التنفس الصحيح خلال الغناء، وامتداد الصوت الغنائي لمسافة زمنية طويلة، وقدرة مقامية ذات حساسية عالية بالسير اللحني وتحويلاته النغمية والإيقاعية، وكل ذلك من خلال الربط التام بين مبنى الكلمة ومعناها من جهة وإيقاعها وموسيقاها من جهة أخرى.
٣. الشخصية الفني القوية المعززة بالثقة بالنفس والثقة المطلقة بجودة وقيمة ما يقدمه من فن، والقدرة العفوية على الربط القوي بين ما يحب أن يقدمه لجمهوره وبين ما تحبه وتستسيغه أذواق المستمعين محبي فنه، من خلال قوالب ونصوص غنائية عفوية أصيلة محددة دونما إسراف أو افتعال في أسلوب عزفها أو غنائها.
٤. صناعته لآلته (الربابة) بنفسه وبمقاييس فنية خاصة كان يحددها طبقاً لحسه وذوقه وقدرته، من خلال مواد بسيطة تؤكد على أصالة هذه الآلة، وتؤكد على قدرتها في إيصال رسالة التراث الشعبي

الأردني إلى أصحابه والمهتمين به بكل يسر وتلقائية، وبأعلى مستوى من الجودة والإتقان وبأرفع مستوى من التهذيب والذوق، حرص عبد موسى على إبرازها جميعاً من خلال صوته ورابته.

لقد كان المرحوم عبده موسى فناناً فطرياً معبراً بحس عفوي مرهف، تمتع بكافة المميزات الفنية، وقدم لوطنه وأهله ومستمعيه وذواقي فنه أجمل الألحان وأعذبها، وعايش ربابته وأحبها فأحبته، فكان من الفنانين القلائل الذين استطاعوا نشر الأغنية الأردنية من خلال البحث والتمحيص في جذورها، واختيار أفضل نماذجها لعشاق فنه على مدى حياة حافلة بالجد والحيوية والإبداع والعفوية استمرت زهاء خمسين عاماً حيث توفي رحمه الله في ١٩٧٧/٦/٢٠م، أعطى خلالها وأخلص العطاء، فاستحق التقدير والثناء، ونقش اسمه في سجل الخالدين.

المراجع

- توفيق أبو الرب، ١٩٨٠م، دراسات في الفلكلور الأردني، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الأردن.
- جمال خليف الأغوات، (د.ت)، الربابة في المعاجم والكتب العربية.
- رشيد زيد الكيلاني، (د.ت)، زفرات الذكرى (ديوان شعر)، أصدره أبناء المرحوم رشيد زيد الكيلاني، عمان، الأردن.
- عبد الحميد حمام، ١٩٨٣م، الموسيقا والمجتمع في الأردن (١) (بحث)، مجلة أفكار، العدد ٦٢، دائرة الثقافة والفنون، عمان، الأردن.
- عبد الحميد حمام، ١٩٨٨م، أصالة القوالب الغنائية البدوية (بحث)، مجلة التراث الشعبي، العدد ٣، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق.
- محمد غوانمه، ١٩٧٧م، الأهزوجة الأردنية، مطبعة، إربد، الأردن.
- محمد غوانمه، ٢٠٠٢م، الربابة العربية، بحث، عمان، الأردن.
- محمد غوانمه، ٢٠٠٢م، عبده موسى رائداً ومبدعاً، عمان عاصمة للثقافة العربية، دار الكندي، إربد، الأردن.
- نمر حجاب، (د.ت)، الأغنية الشعبية في شمال فلسطين، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، الأردن.
- هاني صبحي العمد، ١٩٦٩م، أغانينا في الضفة الشرقية من الأردن، دائرة الثقافة والفنون، عمان، الأردن.

- يوسف سليم شويحات العزيزات، (د.ت)، العرب وتراثهم، مطبعة القوات المسلحة، عمان، الأردن.
- يوسف غوانمه، ١٩٨٢م، التاريخ السياسي لشرق الأردن في العصر المملوكي الأول، ط٢، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- أرشيف ورثة المرحوم الفنان عبده موسى.
- تسجيلات المكتبة الموسيقية في الإذاعة الأردني.
- مجموعة من اللقاءات الخاصة مع أبناء الفنان عبده موسى وبعض الفنانين الأردنيين الرواد.